الفصل السادس

الشيخ طنطاوى جوهرى

الرائد الروحى

كان الفيلسوف الإسلامى الشيخ طنطاوى جوهرى عالماً روحيًّا كبيراً ، وكان رائداً من الرواد المناضلين الشجعان الذين أمضوا حياتهم فى سبيل محاولة كشف المجهول من أسرار الإنسان فى علاقته بنفسه وبالكون وبالخالق عز وجل ، ويالها من أسرار تتجاوز فى قيمتها كل تقدير إذا ما وضعها الإنسان فى الاعتبار عند اتخاذ أى قرار مهما بدا له ضعيف القيمة هيّن الآثار !

لقد كان من أبرز أعضاء «دائرة القاهرة الروحية» ، وكان يشترك اشتراكاً فعليًّا فى الجلسات الروحية التى كان يعقدها الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير فى هذه الدائرة ، وقد كان بحق أول أبٍ للروحية الحديثة فى الشرق .

ولقد قام الشيخ طنطاوى بالدور الذى قام به فى الخارج ذوو الأذهان المتفتحة عندما عرفوا كيف يربطون بين الآراء الدينية وبين حقائق العلم الروحى الحديث بل بالحقائق العلمية ، وهو لا يجد أى غضاضة فى أن يكون رجوعه فى كتاب «الأرواح» إلى مراجع الفرنجة وبحوثهم قائلاً فى الصفحة ٤٧ من طبعة ١٩٢٠ م :

«إن سائر العلوم المدونة من سماوية وأرضية يقرؤها القوم ونحن معهم ، وأهل كل فن صادقون ، ولا جرم أنك تعلم أن سائر الناس لم يكونوا ليعلموا أن ههنا مخلوقات صغيرة «ميكروبات» تحدث فى أجسامنا الحمى والجدرى وأمراض الوباء حتى إن ألوفاً مؤلفة من تلك المخلوقات الحية تؤلف جماعة عظيمة تتعاون على إتلاف أجسامنا ، وتمزيق أحشائنا ، وبعثنا من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح ؛ فأصبح بفضل علماء أوربا الإيمان بهذه الحيوانات الذرية التى لا تراها العين يقيناً لا يشك فيه أحد .

وقد آمن بها الصعاليك والملوك والجهلاء والعلماء .

« فهكذا هم الذين خاطبوا الأرواح بتلك النفوس العصبية[١] ، والأمزجة المستعدة للتخاطب مع العالم اللطيف الذى لم نقرأ عنه إلاَّ فى الكتب الدينية ، فهل نصدقهم فى الحيوانات الذرية المسماة « بالميكروبات » ونكذبهم فى حياة الأرواح ؟ »

وهكذا يسترسل هذا العالم الجليل فى مؤلفه هذا فى تبيان الاتفاق التام بين العلم الروحى الحديث وبين العقيدة ، وفى الدفاع عن النتائج التى تكشف عنها هذا العلم ؛ فهو يقول فى مقدمة الكتاب :

« . . يشب الإنسان منا ويشيب وهو فى هموم الحياة مغموراً غافلاً عما بين يديه من عجائب الموت وغرائبه ، يسمع مقال الدين والأنبياء والعلماء فيمر عليه مرور النسيم على يابس الهشيم والصرصر على الحصباء فى الأرض الفضاء وجرى الماء على الصخرة الصماء ! برع الناس فى العلوم ، بلغوا الثريا فى المعارف ، غاصوا فى البحار ، طاروا فى الهواء ، سبحوا فوق الماء ! هل هذا الإنسان غاب عقله وضل سعيه ، وضاق مذهبه فعجز عن أمر نفسه ؟ هل هذه الأمم التى برعت فى سائر العلوم فجعلت ظهر الأرض بطناً وقلبت بطنها ظهراً ، واتخذت من الهواء مواد الحياة ، ومن ضياء الشمس جرى المياه ، ومن حركاتها سر الكهربا – غاب عنها أنفسها التى هى أعز مطلب ، وأنفس مأرب ، وأجلّ مرغوب ؟ كلا ثم كلا . .

ألا فليعلم المسلمون فى أقطار الأرض أن المحافل الروحية والمجامع النفسية فى البلاد الأوربية قد نطقت فيها الأرواح على مرأى ومسمع من مجالس شوراهم والملأ من قومهم ومجالس الشيوخ والأعيان فى أمريكا وغيرها كما سترونه مفصلاً فى الكتاب مبيناً أيما تبيان ! لقد شرحت الأرواح ما شاهدته فى عالم البرزخ من نعيم وبؤس وهناء وعناء ، وخاطب الأموات الأحياء والآباء الأبناء فأنصت الجمع ، وكفكف الدمع . وجاءت البشرى بالحياة الأخرى . وقال الأموات للأقارب والإخوان : « وإن الدار الآخرة لهى الحيوان » ، فصدق الله وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وجاء الحق وزهق الباطل وفرح المسئول وقنع السائل .

« فهل نقف نحن معاشر المسلمين أمام هذا الحادث صامتين ؟ إنه لعيب فاضح ، وخطأ واضح ، وشين مبين ؛ فنحن أحق بهذا العلم من الغربيين .

« إن الأمر الجلل يعوزه كتب تؤلف ، ومجامع تحشد ، وعلماء تنتقد . أنا لست فى كتابى هذا أثبت العالم الروحى فحسب ، فقد سبقنى إليه من نشروا الفكرة ، وأذاعوا أمره بين إخوانى المصريين .

« إنما الذى أدهشنى ما عثرت عليه من المحاورات بين الأرواح الناطقة من عالم الغيب وبين

---

(١) يقصد النفوس الحساسة ، وهو وصف يطلق بالإنجليزية على الوسطاء .

الأحياء فى المجامع العلمية وكيف كانت آراؤها وتعاليمها تذكرنى كثيراً بما طالعته فى أمهات الكتب الإسلامية . وما جاء عن السادة الصوفية ؟ أليس من واجبى أن أنشر تلك المطابقات العجيبة بين أئمنا الإسلامية . إنه لحرام علىّ أن أغمض العين ولا أنتهز الفرصة ، فأذكر كل حادثة من حوادث العجائب الروحية بما يطابقها من كلام أئمتنا الإسلاميين مبيناً الكتاب والصفحة واسم المؤلف .

«سيعجب المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها إذا جاءهم هذا النبأ الذى عنه يتساءلون : من ذا الذى كان يدور بخلده أن يهجس بخاطره أن ما جاء من نعيم القبر وعذابه فى ديننا يعرض اليوم عرضاً على المجامع الأوربية النفسية كمثل الحاكم الألمانى بيللون الذى مات وعمره ٧٩ سنة ، وقد استغاثت روحه من اضطهاد يتيمين له ، وحققوا فوجدوا ثبوت غدره باليتامى فى دفاتر الحكومة فى تلك الأقطار ؟

«أنا لست فى كتاب الأرواح أسرد الحوادث المنقولةسبهللاً ، ولكنى أجد ذلك يطابق ما نص عليه الغزالى وغيره بطريق الكشف ، وكيف قال : إن عذاب القبر على هذا الأسلوب ؟ .

«من وقف على أسرار دين الإسلام فى أمهات الكتب العلمية عرف ما للذنوب القلبية من الحسد والكبرياء والطمع والجشع من الأثر فى العذاب ، وأن العلاقة متينة ثابتة مؤكدة بينهما عند الممات . وكذلك ليس للمرء من كمال إلاّ بالأعمال العظيمة لبنى الإنسان . . وفى الحديث «من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» . أفليس من الواجب نشر هذا التفصيل لإخوانى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ؟ إن ذلك يأمر به الدين .

«نعم ، لقد بزغ بزوغ الشمس للورى قوله تعالى : «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً» . وثبت بالبراهين ويقين الصدق ، قوله تعالى : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» .

«إليك أيها القارئ روضة فيحاء ، وحديقة غناء ، قطوفها دانية لا تسمع فيها لاغية ، هى السر المصون والجوهر المكنون ، والكنز المدفون الذى اختبأ فى شريعة الإسلام . بهذا العلم ونشره ترى أمراً عجيباً (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) . فليتعاون الكتّاب على نشره ، فإن فيه سلوة المحزونين ، وإيقاظ الغافلين ، وتعليم الجاهلين ، واتباع الإيمان باليقين ، ورقى الأخلاق ، وتقليل النفاق ، وضعف الشقاق ، وذهاب الأحقاد ، والوثوق بحياة جديدة ، فلا يفزع الناس أشد الفزع من الممات ، ويقل بكاء الباكيات ، ويسهل احتمال النكبات ، وأشد الأزمات علماً بأنها طهارة للروح ، وإنماء الأخلاق ، ودروع سابغات ، وأجنحة بها تطير إلى العلا . «وفى ذلك فليتنافس المتنافسون»

كيف كان مبدأ تفكر الشيخ طنطاوى فى أمر الروح ؟

لقد رأينا الشيخ طنطاوى فى كتابه «التاج المرصع» متشككاً مرتاباً فى نظام هذا العالم ، وقد بيّن لنا تشككه ، وكيف كان يطلب الحقيقة بنفسه ؟ فما السبيل التى سلكها حتى عرف حقيقة الروح ؟ . . وهل كان الشك مبدأ أمره فيها ؟

إنه يجيبنا عن ذلك فى الصفحات ٢١٥ وما بعدها من كتابه «الأرواح» الطبعة الثالثة – بقوله :

«نعم ، لقد كان مبدأ أمرى فى مسألة الروح الشك المطلق بل الإنكار : ذلك أنى كنت يوماً واقفاً فى حقلنا بأرض (كفر عوض الله) بجانب نهره المسمى (ترعة كفر عوض الله) ، وكنت أزاول بعض العمل ، فاعترانى دوار لضعف صحتى ، فجلست مدة ، فلما أفقت مما غُشّىَ علىّ نظرت فى أمر الروح وقلت : ياليت شعرى ! إذا كنت الآن ما أزال حيا لم أفارق الجسم وما هو إلاّ أن غُشّى علىّ حتى فقدت الشعور والإحساس – فكيف تكون حالى إذا فارقت الجسم وتفرقت الأوصال وتناثرت الأعضاء؟ فهل يبقى لى عقل أو علم؟ وكنت إذ ذاك فى زمان العطلة الأزهرية ، وكانت سنى حوالى العشرين . ثم بعد ذلك رجعت إلى الأزهر وأنا مكبّ على طلب العلوم اللسانية والشرعية ، فذات ليلة رأيت وأنا نائم كأنى فى مقابر (قريتنا كفر عوض الله) وكأن قائلاً يقول : انظر ، فنظرت فى الجو ، فرأيت كأن هناك نوراً أبيض مغموراً فى وسط الزرقة ! فقال : هذه هى الروح ، وكانت ليلة الخميس . فلما استيقظت قمت مع رفاقى المجاورين للرياضة خارج القاهرة قاصدين بيت أحد أقاربنا ، فلما جلست وجدت فى الطاق كتاباً فأخذته ، فإذا هو كتاب «تهذيب الأخلاق» للشيخ أبى على أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ ، ولم يكن لى عهد بهذا الكتاب ولا بغيره من الكتب الفلسفية ، فتصفحته فوجدته ابتدأه بالبرهان على وجود النفس ، وأتى ببراهين أشبه بما تقدم ذكره عن أفلاطون وسقراط :

فنها أننا لما وجدنا فينا شيئاً يضاد الجسم وأعراض الجسم ويباينهما كل المباينة حكمنا أنه ليس جسماً ولا جزءاً من جسم ولا عرضاً : ألا ترى أن الجسم المثلث لا يقبل التربيع إلاّ بعد زوال الصورة الأولى ، وهو التثليث . وهكذا سائر الأشكال والأعراض ليس يقبل الجسم واحدا منها إلاّ إذا خلع الآخر . والعقل نراه يقبل سائر الأشكال والألوان والمقادير ، فليس يتغير ، بل يقبلها كلها دفعة واحدة . وهذه العلوم تزيد العقل قوة بخلاف الجسم فلا يقبل إلاّ لوناً أو شكلاً ولا يجمع شكلين معاً . وهذا هو التباين العظيم بين المادة والعقل .

ومنها أن القوى الجسمية لا تعرف العلوم إلاّ من الحواس فتتشوقها بالملابسة والمشابكة كالشهوات البدنية ومحبة الانتقام، والجسم يزداد بها قوة فهو يفرح بها ، فأما النفس فإنها كلما اقتربت من المادة ضعف إدراكها ، وكلما رجعت إلى ذاتها ازدادت قوة .

ومنها أن النفس تحرص على العلوم والأمور الإلهية ولا يتشوق شيء إلى ما ليس من طبعه ولا ينصرف عما يكمل ذاته ويقوم جوهره ، فالنفس بانصرافها عن الحواس عند التفكير لتكمل معارفها مخالفة أفعال البدن ؛ فهى إذن جوهر مفارق للبدن .

ومنها أنها أخذت مبادئ للعلوم غير التى أخذتها عن الحواس ؛ فإنها حكمت مثلاً بأنه ليس بين طرفى النقيض واسطة وهذا لا تدركه الحواس .

ومنها أن الحواس تدرك المحسوسات وحدها ، وأما النفس فإنها تدرك أسباب الاتفاقات وأسباب الاختلافات . وهى معقولاتها التى لا تستعين عليها بشىء من الجسم . وهى تحكم على الحس أنه صادق أوكاذب : ألا ترى أن البصر يرى الكبير صغيراً والصغير كبيراً كالشمس والإصبع الغائص فى الماء ؛ فإن الأول أكبر بالبرهان . والإصبع ليس حجمه الحقيقى ما يرى فى الماء . بل هو فيه أكبر مما هو عليه فى النظر . وأسباب ذلك مذكور فى علم المناظر .

هذا ملخص ما ذكره ابن مسكويه وقرأته فى ذلك اليوم ، ولم أشأ أن أخرج مع المجاورين للرياضة بل بقيت أقرأ الكتاب بقية اليوم ، فهذا كان مبدأ نظرى فى النفس وبقائها .

واستكمالاً لهذا الحديث يطيب لنا أن نورد هنا بعض ماكتب الأستاذ عبد اللطيف الدمياطى فى كتابه «الوساطة الروحية» عن الشيخ طنطاوى نقلاً عن الوسيط الروحى المرحوم الأستاذ حسن صالح أيوب وهو تلميذ الشيخ ونسيبه[(١)] :

«أما عن حياته الروحية فقد بدأت – كما هى الحال مع الكثيرين ممن اختارهم الله لتأدية مهام سامية فى هذا العالم – بأزمة نفسية نتجت عن مرض جسمى ، وقد اشتدت هذه الأزمة بالشيخ حتى بلغت به مرحلة اليأس ، وعندئذ بدأ هذا الصراع الهائل الذى يحدث دائماً للأرواح الكبيرة فى مثل هذه الظروف : هذا الصراع الداخلى بين قوى الروح من جانب وقوى الجسد من الجانب الآخر ؛ وكان الشيخ فى هذا الصراع هائجاً لا يقر له قرار.كان من ناحية يغمره اليأس حتى يغطى على جميع جوانب حياته : فالعالم – بما فيه من المتاعب والمكدرات – مكروه بغيض ، والحياة – بما فيها من هموم وآلام – حمل ثقيل ، وهى بعد لا فائدة فيها ولا نفع وراءها . ومن الناحية الأخرى كان يقترب منه هذا الإشراق الإلهى فيضئ جوانب نفسه المرة بعد المرة ؛ حتى إذا بلغ مبلغه إذ بالشيخ يفيق على هذه

(١) ص ٥٩/٥٧ .

الفكرة الوضاءة القوية التى ملأت كيانه وحجبت عنه كل شيء آخر : الله .

صحا النائم من غفوته إذن ، وقد صحا بعد أن تغير تغيراً كليًّا ، فأصبح ولا شأن له بهذا العالم وما فيه . وما الذى يعنيه من هذا العالم وقد وجد عالمه الحبيب المنشود ؟ وهكذا أصبح لا يشغل نفسه إلا بالواجبات العملية والأسرية ، فإذا ما انتهى منها التفت بكليته إلى ربه .

كان أول ما اتجه إليه فكر الشيخ أن يقترب من الطبيعة وأن يتوافق هو وقوانينها ، فحبب إليه الخروج إلى الخلاء ، وهناك كان يكشف عن جسمه ليتشبع بالعناصر الطبيعية من شمس وهواء وأثير لتبعث فى جسمه المادى والأثيرى بالقوة والحياة ، بل لتزيد فى قوته الروحية . ثم رأى أن يقصر طعامه على النباتات ، يتناول أكثر ما يتناوله منها طبيعيا غير مصنوع ، بل إنه ذهب إلى أبعد من هذا فصام يومه وأحيا ليله ، وأمضى فى صيامه هذا ثلاثين حولاً ، هى الأخيرة من حياته ، لم يتخللها إفطاره إلاّ فى المناسبات النادرة كعيد أو نحوه ، وهكذا نرى أن الشيخ – وقد تجلت له الحقيقة –كان يعمل جاهداً فى سبيل رقيه الروحى مضحياً فى ذلك بلذائذه الدنيوية وراحته .

ولم يكن الرجل وقد أصبح عالماً بالأصول الروحية – يبغى من وراء رقيه هذا غرضاً شخصيًّا ؛ إذ إن الأنانية لا تتفق مع الاتجاه الروحى الصحيح ؛ وإنما كان غرضه أن يصبح قادراً على أن يؤدى خدمة للناس ، نعم كان يريد القيام برسالته ، وهى نشر الروحية وتعاليمها .

وأفلح الشيخ ؛ فقد تم له الاتصال فعلاً ، وكان اتصاله قويًّا . وهل هناك من الاتصالات الروحية ما هو أقوى من الاتصال بالله ؟ وربما استكثر بعضٌ على الرجل هذه الدعوى ، وربما وجد الناس فيها تغالياً . ولكن لنرجع إلى المنطق : فالله يريد الخير لعباده ، وهذا الخير إنما هو فى هدايتهم إلى الحق وإرشادهم إلى الصواب . وهو تعالى فى هذا يختار منهم من هيأ نفسه لحمل وسائل هذه الهداية وهذا الإرشاد ، ولن يكون جديراً بهذا الاختيار إلاّ رجل طهر جسمه ونفسه ووقف ينتظر هذا الاختيار ، فلئن كان الله قد اختار « طنطاوى جوهرى » لتأدية رسالة روحية فإن ذلك لأن « طنطاوى » كان قد أعد نفسه لهذا الاختيار فأصبح جديراً به ، والله يعلم حيث يجعل رسالته .

وبعد أن أعدّ الشيخ نفسه هذا الإعداد كان يختلى جل وقته بربه ؛ ومن ثم يقوم بتدوين ما وصله عن طريق الإلهام ، وهكذا قام بوضع كتبه المعروفة ، نذكر منها : « الأرواح » و « أين الإنسان » و « التاج المرصع » و « أحلام فى السياسة » وهو آخر مؤلفاته .

وكان من الطبيعى ألاّ يروق سلوك الشيخ باتجاهه الروحى بعض رجال الدين ولا سيما أن الشيخ نفسه كان أزهريًّا ، فكان منسوباً إليهم ، فخاصموه وقاطعوا كتبه . وطبعاً لم يأبه الشيخ بهم ، بل راح يؤدى رسالته الروحية فى حزم وهدوء . وكان هذا فى الوقت الذى لم يكن فيه أحد يهتم بموضوع

الروحية ، فكان الشيخ فى هذا العصر الحديث رائد الروحية الأول فى مصر ، بل ربما كان رائدها فى الشرق كله . وليس فى هذا مغالاة ، فقد انتشرت كتبه وسادت تعاليمه فى بلاد شرقية كثيرة ، ووجد فيها حتى غير المسلمين من التعاليم السامية التى تدعو إلى رفعة الإنسان ما جذبهم إلى اعتناق الدين الإسلامى .

وهكذا نرى أن الشيخ بجهاده الروحى لم يخدم الفكرة الروحية فقط ، وإنما خدم الدين الإسلامى أيضاً ، إذ اعتنقه الكثير من الناس فى تلك البلاد ، وهذا ليس بغريب ؛ إذ إن التعاليم الروحية الحديثة تتفق تمام الاتفاق مع تعاليم الدين الإسلامى الصحيحة .

وكان الشيخ جم النشاط وخصوصاً فى مجال البحوث الروحية ، وكان يتتبع بمزيد من الاهتمام خطوات الحركة الروحية الحديثة التى كانت قد ظهرت فى الغرب ، ثم لما ظهرت الحركة فى مصر انضم إليها كعضو فى الدائرة الروحية التى أنشأها الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير ، وظل متصلاً بهذه الدائرة إلى أن انتقل إلى عالم الروح .

ولقد عاش الشيخ فى هذا العالم يعمل فى خدمة الروحية فى تواضع وإخلاص ، فلما انتقل إلى عالم الروح لم يلبث أن انضم - بحكم تهيئته - إلى جماعة الأرواح المرشدة ليواصل رسالته » .

* * *

ولانعدو الحقيقة إذا قلنا : إن روح الشيخ طنطاوى ما تزال مواظبة على الحضور الآن فى الجلسات الروحية سواء كانت فى الشرق أم فى الغرب . وهى روح مرشدة عظيمة لكثير من الوسطاء . ومنهم بالأخص نجله الكريم الأستاذ السيد جمال الدين طنطاوى . وكثيراً ما يراه ذوو الجلاء البصرى سواء فى غرف الجلسات أم فى خارجها . ونخص بالذكر منهم صهره الأستاذ (حسن صالح) الذى كثيراً ما يراه سائراً بجواره أو متكلماً معه سواء فى الطريق أو فى المنزل أو فى المصلحة التى يعمل فيها .

وللشيخ طنطاوى جوهرى رسالة روحية جليلة هو آخذ فى توصيلها من عالم الروح عن طريق وسطاء أعدُّوا أنفسهم لاستقبالها كما سنبين فيما بعد .

ويقول الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير فى حفل أقيم لذكرى الشيخ طنطاوى فى قبة الغورى يوم ٣٠ من يناير عام ١٩٤١ ، أى بعد مضى عام على انتقاله إلى عالم الروح[١] :

« نحن هنا الآن نحتفل كما جرت العادة بذكرى وفاة أستاذنا طنطاوى جوهرى ، ولو أننا سايرنا الحق والواقع لوجب أن نقول : إننا إنما نحتفل بذكرى ميلاده فى عالم الروح - عالم الخلود . وجرى العرف أيضاً أن نقول : إن فلاناً حىّ بآثاره ، وفاتنا أنه حى فى الواقع بجسمه الأثيرى (أى روحه)

(١) عن مجلة «عالم الروح» عدد مارس ١٩٥٦ ص ٢/١٠ .

يتابع الحياة فى عالم الروح ، ويواصل البحث والدرس . فالارتقاء هناك وقف عن العمل الصالح بالعلم الصالح والمضى فى رشف منهله . وطنطاوى جوهرى قد ترك لنا فى عالم المادة تراثاً غنيًّا وأثراً صالحاً ، وقد أبى بعد انتقاله إلى عالم الروح إلّا أن يواصل البحث والدرس ، فاختار الطب كما علمت منه فى هذا الأسبوع فقط ، ورأى أن يدرس الإشعاعات المجهولة منا والتى تصلح لإبراء الأورام الخبيثة بنوع خاص .

ولقد جبل أستاذنا طنطاوى جوهرى وهو فى حياته المادية على ألا يترك ظاهرة تمر أمامه دون بحثها وتسخيرها إن استطاع للخدمة العامة ، فلما انتقل إلى عالم الروح سار على نفس الدرب مسوقاً بذلك الطابع الدقيق : حبه للعلم وتطوعه لخدمة الإنسانية .

ولنعد القهقرى إلى سنة ١٩١٠ حيث ظهر فى سماء مصر مذنب هالى ، وكنت إذ ذاك طالباً فى المدرسة التوفيقية ، وجلست على مقهى فى حى الخليفة بجوار القلعة معتزماً السهر حتى أرى ذلك الجرم السماوى ، وإذا بجوارى شيخ وقور متواضع يسألنى من أنت ؟ ولماذا أنت هنا ؟ فلما أنبأته أمرى ورغبتى هش وبشّ ، ومضى يسامرنا سمر الأستاذ مع تلاميذه وماكان أشهاه سمراً ! ثم إذا به بعد فترة يستأذن مسلماً ، ومضى يسير منفرداً فى فضاء ميدان قره ميدان يرقب السماء . وسألت عن محدثى بعد قيامه فقيل لى : إنه أستاذنا طنطاوى جوهرى ، وأنه لا بد ماض ليرقب ذلك الجرم السماوى . وذاك كان أول عهدى به . ونعرف كلنا أنه لم يشأ أن يمر ذلك الحادث – حادث ظهور ذلك الجرم السماوى دون أن يخرج منه للمجتمع اللاإنسانى بعبرة ، فأخرج كتابه « أين الإنسان ؟ » وقارن فيه بين نظام الكون ونظام الأمم ، ودعا إلى الإنسانية الحق مستخرجاً السلام العام الذى يدعو إليه من النواميس الطبيعية والنظم الفلكية والفطر الإنسانية ، ونحا فيه منحى الداعية الروحى الصادق الأمين . ومضى فى تواليفه الكثيرة وهو بين ظهرانينا ينشر الروحية وتعاليمها القدسية ، لأن فيها كما يقول فى مقدمة كتابه « الأرواح » : « سلوة المحزونين ، وإيقاظ الغافلين ، وتعليم الجاهلين ، وإتباع الإيمان باليقين ، ورقى الأخلاق ، وتقليل النفاق ، وضعف الشقاق ، وذهاب الأحقاد ، والوثوق بحياة جديدة ، فلا يفزع الناس أشد الفزع من الممات ، ويقل بكاء الباكيات ، ويسهل احتمال النكبات وأشد الأزمات علماً بأنها طهارة للروح وإنماء للأخلاق ، ودروع سابغات ، وأجنحة بها نطير إلى العلا »

ثم دار الفلك دورته وإذا نحن بعد ذلك بما يزيد على ربع قرن من الزمان ، وبدأت أنشر الدعوة إلى العلم الروحى الحديث بشكل عملى ، فنقلت إلى العربية أحدث المؤلفات الروحية وأعمقها أثراً ، وألقيت كثيرا من المحاضرات فى مختلف قاعات الخطابة وفى كلية العلوم بالجامعة ، واستمع هو إلى معظمها وكان يرد على اعتراض المعترضين . ثم شاركنى فى إنشاء دائرتنا الروحية ، وهى أول دائرة

أنشئت فى مصر ، بل فى الشرق كله على غرار دوائر لندن الروحية ، وعلى أساس من العلم الروحى الحديث ؛ وكان أبرز أعضاء الدائرة وقاراً وعلماً وتقوى ، وظل يعمل معى ويحضر الجلسات إلى أن اختاره الله لجواره فانتقل به من عالم المادة إلى عالم الروح تتملكه باستمرار تلك الرغبة الجامحة فى خدمة الإنسانية والدعوة الى المحبة العامة . ولم تنقطع صلته بنا بعد انتقاله ، فكثيرا مايحضر جلساتنا ، ويراه وسطاء الجلاء البصرى ويسلمون عليه ، ورأيته بنفسى فى حجرة التحضير رؤية خاطفة ، فإذا بطنطاوى جوهرى المفقود موْجُودٌ ، وإذا بالعقل الفياض هو العقل الفياض ، وإذا بعواطفه الخيرة لاتزال متغلبة عليه ، وكثيراً ماكان يرد على أسئلتنا إما بطريق وسيط الكتابة التلقائية ، وإما بالحروف النورية يراها الوسيط المختص ، ويمليها حرفاً حرفا فى سرعة متناهية !

وقلّت فى الشهور الأخيرة زياراته لنا . حتى إذا كانت جلسة الاثنين الماضى (٢٧ من يناير سنة ١٩٤١) حضر ، ورأيته كالمعتاد رؤية خاطفة فى جبة سوداء ، ووافقنى على ذلك أصحاب الجلاء البصرى الذين أغبطهم على رؤيتهم إياه هو وصحبه من علية الأرواح رؤية مستمرة إلى أن ينصرف الجمع ، وسألته بعد تبادل السلام أين كان طيلة هذه المدة ؟ وقام أحد الوسطاء بإبلاغى حديثه .

قال : «كنت أتعلم لأنى أريد أن أخدم بنى الإنسان » .

فهلّلت وكبَّرت وقلت : « لابد أنك قد بلغت الغاية التى أردتها من متابعتك الدرس ، فلما بلغتها عدت إلينا » .

قال : « نعم ، وقد تعلمت كيف أستخدم جهاز الإشعاعات الكونية وهاهو ذا فى يدى » .

ووصف لى وسيط الجلاء البصرى جهازاً أثيريا تنبثق منه جملة أنابيب ، تخرج منها إشعاعات مختلفة الألوان ، كل فى دوره ، وتستخدم فى العلاج ، وفى كشف دقائق العلة مما لاتصل إليه الأشعة السينية المعروفة الآن . ولايفوتنى أن أقول : إن هذه الإشعاعات تومض أحيانا فيراها كل من فى الحجرة من وسطاء وغير وسطاء ، ويظهر الومض فى السقف وفى الجو وفوق الأرض . وأحيانا تشع يدا الوسيط المعالج حزماً مومضة من هذه الأشعة الكونية الغريبة .

فياعجبا ! كنا نظن الموت نهاية فإذا به فى الواقع بداية ، وكنا نظنه فناء فإذا هو بقاء وأى بقاء ! وهل أغرب من أن يشترك « الميت الفانى » فى عرفنا فى خدمة « الحى الباقى » وتخفيف آلامه ؟ تلك والله آية العلم الروحى الحديث الذى نادى به طنطاوى جوهرى وأضرابه ، والذى أنشأت له جامعة كمبردج العريقة تلمذة ودراسة ، والذى لأجله ضمت جامعة لندن لمجلسها عضواً من البحاث الروحيين [1] .

(١) لجامعة لندن الآن مجلس للبحوث الروحية وفيها أكبر حجرة لتحضير الأرواح .

إن هذا هو حال الشيخ طنطاوى جوهرى ولم يمض على انتقاله إلى عالم الروح إلاّعام واحد . ولقد كان فى حياته المادية كثير الإنتاج ، كثير العمل ، فكيف به وقد تحرر من قيود المادة فى العوالم الروحية ؟ إنى لأنتظر منه الكثير والكثير جداً ، وسأذكره لوطال بنا الأجل فى هذه الحياة الدنيا ، ولقد صدق طنطاوى جوهرى حيث يقول فى آخر كتابه « أين الإنسان ؟ » مايلى :

« الناس غارقون : إما فى غمرة الجهل أو فى بحر حيرة العلم ! كبرت على عقولهم نظامات العالم فتلقفوا كلمات الخارجين تلقف الجهال كلمات الدجال الذى يدعى فتح الكنوز بالأحلام والأوهام . إن أكثر الناس واهمون فى قضايا الإنسانية خاضعون لمن علت كلمته ولو كان مخدوعاً » .

ولما كلفنى سكرتير جماعة الأخوة الإسلامية إلقاء كلمة فى حفل اليوم طلبت يوم الجمعة الماضى « ٢٤ من يناير سنة ١٩٤١ » إلى الروح الكبير الكريم سيلفر بيرش عميد جماعة الأرواح المتصلة بنا أن يسمح لأستاذنا طنطاوى – وقد كان خدنه الروحى وملهمه منذ أكثر من ثلاثين سنة - بأن يبعث إلينا برسالة منه وهو فى عالم الروح لأتلوها على المجتمعين فى يوم ذكراه الأولى فوعد خيراً . ثم كانت جلسة الأمس « الأربعاء الموافق ٢٩ من يناير سنة ١٩٤١ » فحضر الروح سيلفر بيرش وروح طنطاوى جوهرى والروح عبد اللطيف « الطبيب الفارسى المشهور » وجماعة أخرى من أرواح ذوى قرابتنا وغيرهم . ورآهم وسطاء الجلاء البصرى ، وطلب إلينا روح عبد اللطيف بلسان وسيطه أن نستعد لتلقى رسالة طنطاوى جوهرى بالحروف النورية ، فأطفأنا النور الأبيض ، وأضأنا النور الأحمر ، وأعددنا العدة للكتابة ، وفيما يلى نص ماتلقيناه بالحروف النورية حرفاً حرفاً :

بيرش يتكلم :

أقدم لكم أستاذكم الكبير والروح الكريم طنطاوى جوهرى .

ثم تنحى بيرش عن الكتابة ، وبدأ طنطاوى جوهرى يكتب رسالته بالحروف النورية قال :

« إخوانى ، أقف اليوم بينكم خطيبا روحيًّا معرباً لكم عن سرورى بكم ، سرورى بهذا الحشد الكريم الذى أقتموه فى ذكراى الأولى .

« وإنى لمسرور ومسرور جدًّا ، عندما أجد رجال الدين مُصْغِين ومسرورين عند سماع رسالتى المقلة هذه من عالم الروح . وأود أن تتضامنوا فى الاطلاع ونشر العلم الحديث ومافى هذا العلم . وكما قال الله تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » فاعلموا أيها الإخوان أن عليكم عيونا من الله ترعاكم وتراكم .

« والآن أيها الإخوان وجب عليكم أن تتضامنوا جميعا وحبذا أنكم من رجال الدين ، فيكشف الله لكم عن هذا السرّ الإلهى الدفين ومافيه من الدين القويم .

« إخوانى – التقوى تقربكم إلى الله ، والصبر عند الشدائد وإغاثة الملهوف تجتمع فى عنصر واحد .

« سادتى ، كان بودى أن ألقى عليكم رسالتى مطولة عن هذه ، ولكنى أرى الوسيط قد تعب ، فمن عمل صـ لحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وماربك بظلام للعبيد .

« وأكرر الثناء عليكم جميعا فقد ظهرتم ملبين فى إقامة هذه الذكرى . وإننى لأدعو الله لكم أن يوفقكم لما فيه خير وفلاح والذكرى تنفع المؤمنين والسلام » طنطاوى .

تلك هى رسالة أستاذنا طنطاوى تلاها عليكم الآن بلسانى ، وإنى لأشعر به وبالروح سيلفر بيرش ، بجوارى الآن ومعهم نخبة الأرواح الطاهرة يشاركوننا فى الاحتفال بهذه الذكرى .

لقد قلت فى حفلة الأربعين إننا قد نسمعكم صوت طنطاوى جوهرى كما هو الحال فى الغرب إذ تخطب الأرواح فى المجتمعات بأصواتها المباشرة ، وتتجسد أمام الحاضرين ، فتبدو كما كانت تبدو فى حياتها المادية ، ولكننا لم نصل بعد إلى النجاح فى هذا النوع من التجارب وإن كنا ماضين فيه ، ولعلنا مستطيعوه يوما ، فتزدادوا إيمانا بأن الموت بداية لانهاية ، وبقاء لافناء . والسلام عليكم ورحمة الله .

وإلى هنا تنتهى الكلمة التى ألقاها المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير فى حفل الذكرى الأولى للشيخ طنطاوى جوهرى يوم ٣٠ / ١ / ١٩٤١ نقلناها هنا لمافيها من فائدة ومتعة .

وجدير بالذكر أننا مازلنا ونحن الآن فى عام ١٩٧٦ على صلة بروح أستاذنا طنطاوى جوهرى ، وقلّ أن تعقد جلسة إلاّ يحضر فيها ، ويراه أصحاب الجلاء البصرى .

هارون الرشيد وطنطاوى جوهرى :

ولعل من أغرب ماحدث أن يتصل روح هارون الرشيد والشيخ طنطاوى فى إحدى الجلسات التى كان يعقدها الأستاذ فهمى أبو الخير ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢٠ أى قبيل وفاة الشيخ طنطاوى بثمانى عشرة سنة ، ويطلب إليه أن يصحح خطأ تاريخيا وقع فيه المرحوم جورجى زيدان بصدد العباسة أخت الرشيد . وقد كان ذلك بطريق الكتابة التلقائية .

وهاهى ذى القصة من أولها كما سردها الشيخ طنطاوى فى كتابه « الأرواح »[1] .

تحرك القلم فى يد الوسيط ، وكتب بخط كوفى جميل جداً ، مايلى :

« ياأستاذ طنطاوى :

---

(١) الطبعة الثالثة – ١٩٣١ م المكتبة التجارية الكبرى .

« ولما رأيت السيف جلل جعفراً أجز فقلت : ونادى مناد للخليفة يا يحيي
« أسفت على الدنيا وعاتبت أهلها عليها وقلت الآن لا تنفع الدنيا
« فقال : عوفيت ياأستاذ طنطاوى . أنت عقلك كبير ، ولكنك حسن النية ، استمر فى تأليفك ، ولكن أنا أريد منك أمراً ، فهل أنت فاعله ؟ قلت : نعم ، فقال : بحق النبى ، بحق القرآن ألافعلته ، فكاد يغشى علىّ والحاضرون دهشوا لهذه المفاجأة ولماذا اختار فلانا ؟

« فأكدت له أن أفعل ذلك ، فقال : والله إن جعفراً مازنى بأختى العباسة ولازوجته إياها ولكنه رجل خانى فقتلته ، فهل تعاهدنى أن تسهر الليل وتجد بالنهار وتقرأ فى الكتب وتبحث فيها حتى تؤلف كتاباً به تطفئ النار المتأججة فى الشرق والغرب وتدفع الخطأ الذى نشره جورجى زيدان ؟

« فعاهدته على ذلك فقال له صاحب المنزل وهو يضحك : ماتقول فى والد الشيخ طنطاوى فقال : أنا أعرفه وهو سعيد ، ثم قال : تحب ياأستاذ طنطاوى أن أذكر لك اسم والدتك لأنك كنت تمتحن الأرواح فيها وذكر الحرف الأول من اسمها فقلت كفى .

« فقال صاحب المنزل للوسيط وكان يحب الضحك كثيراً : لاتضع قلمك على الورقة لئلا يقلع عين الخليفة : فقال له : ياسيدى ، أنا الآن روح من أرواح الله ولست خليفة ، فقال : ماهذا ؟ وهل لله أرواح ؟ فقال الرشيد : ياحبيبى ، تعلم اللغة العربية ثم كلمنى . وبعد ذلك أخذ الرشيد يلاطف صاحب المنزل ، فقال له : أنا لا أؤاخذك بقولك ، لأن النبى ﷺ كان يمزح ولايقول إلا الصدق ، إن أباك الآن فى درجة عالية ، وأمك صفتها كذا فقال : وماتقول فى أخى أحمد ؟ فقال : أما هذا فلاتسألنى عنه ، فقال صاحب المنزل : حقيقة أخى كان يرتكب الآثام ! ثم عطف ثانيا وقال : ياأستاذ طنطاوى تذكر وصيتى فقلت : سأعمل بها ، فكن مطمئنا .

وانتهى الحديث .

« وبعد ذلك بأيام حضر لصاحب المنزل وقال له : قل للأستاذ طنطاوى : لماذا لم يعمل بجد فيما أوصيته به ؟

« وبعد مدة قال : قل : للأستاذ طنطاوى أنا شاكر له فعله .

« وبيانه بعد أن قمت من ذلك المجلس بحثت فوجدت فى المكاتب كتابا اسمه « العباسة أخت هارون الرشيد » وماكنت اطلعت عليه قبل ذلك فاشتريته ودرسته ، وبحثت فى كتب التاريخ فوجدت الرواية خيالية والعلم يكذبها ، فألفت فعلاً كتاباً هو الآن عندى اسمه « براءة العباسة أخت هارون الرشيد » ووضع لهذا الكتاب حسن أفندى حسين — وهو كاتب مشهور بمصر — مقدمة ذكر هذه الحال كلها . . »

ثم قال : « رأيت القول فى هذه الحادثة صادف الحقيقة ، فإنى بحثت فرأيت جميع هذه القصة خيالية ، ولم يحصل هذا من العباسة وهى لم تر جعفراً والمسألة كلها سياسية بحتة .

« إن قدماء الفرس لما رأوا صولة العرب تدخلوا بينهم وقلبوا دولة الأمويين ، ولما جاءت الدولة العباسية ولم ينالوا مرادهم أرادوا قلبها أيضا ، ففتك بأبى مسلم الخراسانى أبو جعفر المنصور وبجعفر البرمكى هارون الرشيد لمقاصد سياسية ، والكتاب قد شرح هذه النقطة شرحاً وافياً مستمداً من جميع المؤرخين قديماً وحديثاً . . »

تحقيق جديد :

وهكذا كان الاتصال بعالم الروح سببا فى تصحيح هذا الخطأ التاريخى الذى وقع فيه جورجى زيدان وكان كاتباً من كبار الكتاب فى مصر ، وكان كتاب « براءة العباسة » الذى صحح هذا الخطأ نتيجة لحضور الشيخ طنطاوى تلك الجلسات الروحية التى كانت تعقد بانتظام فى « دائرة القاهرة الروحية » .

وفى الحقيقة أن روح الشيخ طنطاوى ماتزال -كما قلنا- مواظبة على الحضور حتى اليوم فى الجلسات الروحية ، وبالأخص الجلسات التى تعقدها « الجمعية الإسلامية الروحية » بالقاهرة ويهيمن فيها أستاذنا طنطاوى على نجله الكريم الأستاذ جمال طنطاوى .

ولقد ظهرت روح الشيخ طنطاوى بعد انتقاله إلى العالم الآخر بخمسة أشهر ، مع روح هارون الرشيد والعباسة ، وجعفر البرمكى ، فى إحدى الجلسات التى يروى لنا تفاصيلها الأستاذ فهمى أبو الخير فيما يلى[1] :

كان لابد وقد اتصلنا بعالم الروح أن نجرى تحقيقا جديداً وتم ذلك فى جلسة كنا عقدناها فى يوم السبت الموافق ١١ من يونية سنة ١٩٤٠ ، وحضر اثنان من وسطاء الغيبوبة واثنان من وسطاء الجلاء البصرى ووسيط استدعاء الأرواح ووسيط الكتابة التلقائية .

ووقع الوسيط أبو سريع فى الغيبوبة ، وتكلم بفمه أولاً الروح هوايت إيجل وهو روح معالج ، ثم سلم وانصرف مخليا المكان للروح المسمى سيلفر بيرش ، وماهى إلا لحظات حتى تكلم هذا الروح بلسان الوسيط بنبرة تخالف نبرات سابقه . وعرضنا عليه الأمر ، فطلب إلينا عقد جلسة الكتابة التلقائية لأن الوسيط متعب ؛ ومن ثم لايمكن استمرار التواصل طويلاً بطريقة تفوهات الغيبوبة . وفعلاً أطفأنا النور الأحمر وأضأنا النور الأبيض المعتاد ، وأعد وسيط الكتابة التلقائية وديع ميخائيل نفسه

(١) مجلة « عالم الروح » العدد ١١ السنة الأولى – سبتمبر ١٩٤٨ ص ٥ / ٩ .

للكتابة ، وجلس أمامه وسيطا الجلاء البصرى زكى وحسن ، ووقف وراءه وسيط استدعاء الأرواح حامد أبو الخير ، وتعاونت الأرواح والوسطاء و بدأ وسيط الكتابة التلقائية يكتب ، فكتب مايلى :

« سيلفر بيرش

» السلام عليكم ، لم أستطع مخاطبتكم طويلاً بفم الوسيط الواقع فى الغيبوبة لتعبه ، ولقد تقابلت بعد انصرافى وهارون الرشيد وكلمته فى هذا الموضوع ، فكان سروره لايقدّر ، وسيحضر الآن ومعه طنطاوى ، فاطلب منهما ماتريد » .

روح هارون الرشيد :

وبعد ذلك كتبت يد الوسيط مايلى ووسيطا الجلاء البصرى يريان « طنطاوى » ومعه هارون الرشيد يحف بهما وقار كبير :

« السلام عليكم - الرشيد »

فقلت « نحن مسرورون جداً لتشريفكم ، ونود منكم كلمة بخصوص ماكنتم كلفتم أستاذنا (طنطاوى جوهرى) القيام به وهو فى عالمنا لكى نضمها إلى مقالنا »

قال : « سرور عظيم وشكر جزيل أقدمه إلى حضراتكم على هذا.كم كنت حزينا ومتألما جد الألم مما كتب عن أختى العباسة بيد السيد جورجى زيدان ! ولذا حاولت الاتصال بأى طريق بمن يمكنه تصحيح الخطأ ، وكان أن أسعدنى الحظ وساقنى إلى مقابلة السيد العظيم سيلفربيرش فدلنى على وسيطه بالإلهام السيد العظيم طنطاوى ، وجعلنى أتصل به وتعاهدنا على تصحيح الخطأ الذى جاء برسالة السيد جورجى زيدان ، فعاهدنى على ذلك ، ولقد وفى بعهده ، وكان من طبيعته الوفاء فى عالمكم كما هو الآن فى عالمنا ، ولقد زاد سرورى جداً بسنوح تلك الفرصة التى ستعيد فيها ياسيد أحمد (أبو الخير)الإفصاح عن الخطأ فى رسالة السيد جورجى زيدان ، وتعيد إلى العباسة انشراحها وسرورها ، فتصحح تاريخها ، وهى - وإن كانت أنابتنى فى الشكر - ستحضر بنفسها الآن وتقدم لكم الشكر . الرشيد » .

روح العباسة أخت الرشيد :

وكفّ وسيط الكتابة التلقائية عن الكتابة ، وقال أحد صاحبى الجلاء البصرى ووافقه صاحبه على ماقال : « أرى سيدة تسير الهوينى فى عظمة الأميرات وقد أمسكت بيدها اليمنى ثوبها من فوق ركبتها ترفعه لأنه يتدلى على الأرض ، والسيدة بدينة قصيرة سمراء فى لباس خارجى أسود . وعلى وجهها

نقاب لاتظْهَرُ منه إلاّ عيناها . ولما خلعت نقابها وملابسها الخارجية تبدت بملابس بيضاء ناصعة ، وظهرت عيناها النجلاوان الواسعتان . » وقال وسيط استدعاء الأرواح « هذا أول ظهور لها فى الأرض بعد انتقالها » .

وبدأ وسيط الكتابة التلقائية يكتب فكتب مايلى :

« طنطاوى

« لم يترك لى السيد هارون ماأقوله لحضرتكم ، وإننى لاأستحق كل ماجاء بكلمته بخصوصى ، ولا يسعنى إلا أن أقول لكم شكراً ثم نجاحاً وسروراً تاما يَهَبُهُمَا الله لكم عن قريب . طنطاوى »

ثم إذا بالوسيط يكتب :

« العباسة

« تحيّى إليكم يامعشر الروحانيين . كان ألمى شديداً لما جاء برسالة السيد جورجى زيدان ، ولقد كان تصحيح السيد طنطاوى بمثابة الحكم الابتدائى بالبراءة ، وستجىء كلمتكم ياسيد أحمد (أبو الخير) وكأنها تأييد لحكم البراءة فى الاستئناف ، فشكراً ثم شكراً .

« وإليكم حادثة تثبت لكم البراءة ، وقد تكون بمثابة النقض والإبرام ياسيد أحمد :

« لقد قيل للرشيد فى يوم من الأيام : إن جعفراً ذهب إلى دار العباسة ليقضى معها بعض الوقت يطفىء فيه مايعانيه من نار الشوق والغرام ، فجاء الرشيد بنفسه متخفيا فى ثياب أحد الخدم كى يرى من بالدار ؟ وإذا بالدار خاوية إلاّ منى ومن الخدم ! فخجل وكان ندمه شديداً على تصديق ماسمع ، وعاد ولم يصدق بعد شيئاً . . العباسة »

روح جورجى زيدان :

ولما كف الوسيط عن الكتابة طلبنا (روح جورجى زيدان) فقيل لنا : إنه موجود ؛ والتفت صاحبا الجلاء البصرى إلى ركن آخر من أركان الحجرة وإذا بهما يريانه بملابسه الفرنجية عارى الرأس ، ثم اقترب من الوسيط ، وإذا بهذا يمسك القلم ويكتب :

« إننى ياسادة أتقدم تقدم من يريد الاعتراف بخطأ كى يكفر أولا عنه ثم يبرئ ناساً كانوا أفضل مايكون ، ولكن ساءت سيرتهم بما كان منى ، فأستسمحكم الآن كما سبق أن استسمحت الرشيد وأخته عند انتقالى إلى عالم الروح . . جورجى زيدان »

واسترخت يد وسيط الكتابة ، وطلبنا روح جعفر ليقول لنا كلمة فى الموضوع وهنا قال أحد صاحبي الجلاء البصرى : « أرى رجلاً يمسك بيده ورقة » .

وقال وسيط استدعاء الأرواح : « تلك رسالة لدعوة جعفر » .

روح جعفر :

وحضر روح جعفر البرمكى يتقدمه اثنان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وبدا طويل الجسم ، طويل الشارب ، كبير الرأس ، ممتلئ البدن ، قمحى اللون فى سمرة ، واسع العينين ، عريض الحاجبين ، واسع الجبهة . على رأسه عمامة تشبه عمامات الهنود ؛ وكتبت يد الوسيط :

« البرمكى

« إن قلت : ليلة سعيدة فغيركاف ، وإن قلت : أنا أسعد حالاً منى يوم كنت فى عالمكم ، وخاصة لحضورى الآن – فغيركاف أيضا ؛ وإنما أقول لكم : إننى مسرور جد السرور بظهور براءة من اتهمت معها بغير حق ، تلك فرصة يندر أن تتاح مرة أخرى كى نظهر فيها جميعا براءة العباسة ، ويعترف فيها المخطئ بخطئه ، ثم نعود فنتصافح معاً كما تصافح القاتل والمقتول !

« إننى عاجز عن التعبير عن مقدار شكرى – جزاكم الله كل خير . ووهب لكم كل نجاح ، وجعلكم رسل الروحية فى الشرق أجمع بعد أن قبرت فيه وقد كان مهدها . . البرمكى »

قلت : « الحمد لله أن تصافحتم جميعا »

قال : « وستتصافح أمامكم »

وبعد ذلك وصف صاحب الجلاء البصرى ماتم فقال : « أرى الشيخ (طنطاوى) يتقدم ويجمع بينهم ، فتقدم جعفر وصافح هارون الرشيد أولا ثم انحنى أمام العباسة . وأرى (جورجى زيدان) يتقدم ويصافح الرشيد ، ثم هو ينحنى أمام العباسة ثم يصافح (جعفراً) وتقدم من طنطاوى مصافحا وكأنه يقول : « أنت السبب فى إظهار الحقيقة فى الأرض وفى عالم الروح » .

* * *

ونقف بحديث هذه الجلسة عند هذا الحد ، لننتقل إلى جلسة أخرى كان قد عقدها السيد الإمام الأستاذ رافع محمد رافع رئيس « الجمعية الروحية الإسلامية » فى ١٣ من يناير ١٩٦١ [١] .

وقع السيد جمال طنطاوى تحت هيمنة واعية من أبيه أستاذنا الشيخ طنطاوى ، وتفوه بحديث طويل لامجال لنشره هنا ، ولكننا نكتفى بالفقرات الأخيرة التى اختتم بها الحديث :

(١) عن « البناء » الجزء الثالث للجمعية الروحية الإسلامية .

« . . لاأطلب لنفسى أكثر مما أطلب لإخوانى . إنى أطلب لهم ماأطلب لنفسى من الله ومن ربى ومن شهودى ومن معتقدى وموجودى ومن أحديته معلومة لى فيا أعلم من فنائى فيه ومن واحديته معلومة لى ، ومن بقائى به عبداً له ، ومن نطقى بما يريد بإرادته . ومن فعلى لما يريد بحكمته فناء وبقاء برسوله إلى بمعنى الفناء فيه والبقاء به ومن وجهتى بما يريد برحمته . لاحول لى والحول له ، ولاقوة لى والقوة له ، لافعل لى والفعل له ، ولاوجود لى والوجود له ، لاوجه لى والوجه له . .

« هذا ماكان فعلى وعملى ودعوتى . وهذا هو مايقوم عليه اليوم بعثى وحركتى إن سُميت لى حركة ، وفعلى إن سمى لى فعل ، وقولى إن نسب لى قول .

« إننى فى يومى أشبه ما أكون بأمسى وماقد أكون فى غدى . . فى جوهر الأمر لاأزداد فى الله إلاّ بما يزداد به الناس من وعى عنه وقيام به وبروح منه من روحه منه على أرواحهم ، ونورٌ من نوره على نور يتخلل أوانيهم ، وعلم من علمه يحل بكيانهم كتباً له وإعلاماً عليه .

« هذه هويتى وهذا مرتقاى . لامرتقى لى إلاّ أن أكون خادماً لله بخدمة الناس ، خادماً لله بخدمة عباده ، خادماً لله بخدمة إخوانى ، خادماً لله بخدمة أحبابه ممن يحب من أحب ومن لاأحب ،ومنى من كان معى فى هذا وأنا منه . وإنى من حيث أنا فإنما أحب الناس جميعا . أغفر لمسيئهم إساءته ، وأسأل الله أن يغفر لى وله . وأرتضى من المحسن إحسانه ، وأسأل الله أن يزيد لى وله ، وأن يقبل منى ومنه .

« وأما أنا فحسبى أن أكون فى خدمة الناس ، وأن أرى الله راضيا عمن يرتضى من الناس بلا فرض منى بشفاعة ، ولكن بمحبة منه لى ولهم . فنى محبته لهم أشعر بمحبته لى . وإنى فى حبى لهم أشعر بحبى له . . أنا والناس ، أنا من الناس ، أنا فى الناس والناس فىّ . . أنا منهم وهم منى عباداً له . هذا ماأريد أن يبقى لى نعمة منه علىّ لاتنقطع ، وعطاء منه غير مجذوذ لى ولهم .

« هذا وعيى ياأخى . وهذا إدراكى ، وماأحب أن يكون وعيك وإدراكك ووعى الناس وإدراكهم – أنى مافارقت الناس فى الأرض وماأحببت أن أفارق الناس فى الأرض ، ومافارقت من عرفت ومن عرفنى من الناس فى عالم الروح أو فى عوالم الروح ، ولاأحب أن أفارقهم فى غدى أو أن أفارقهم فى يومى . إن أُنسى بالله فى أنسى بهم ، ومعرفتى فى الله فى معرفتى بهم .

« إنى أشهدهم بوعيى وأشهدهم بمحبتى حتى لوكنت لاأرى لهم وجوهاً أوأعرف لهم أسماء ؛ فإنى أحبهم جميعا ظهروا لى أو لم يظهروا تسموا عندى أو لم يتسموا . انضموا إلىّ أو لم ينضموا ، رأيتهم فى حاضرى أو لم أرهم . إنى أرى مأأرى فى حاضرى أنه عين ماكنت أرى فيا لاأرى من قديمى وهم

عين ماسوف أرى فى قادمى ، وفى مواصلة حياتى فى حيوات الناس . فى حيوات الإنسان فى حياة الله قديمة قائمة متواصلة .

« هذا ماأحب أن يعرفه إخوانى من أهل الأرض ، وماأحب أن يعرفه إخوانى من عوالم الروح ، ومن عوالم الكواكب ، ومن عوالم الإنسان ، ومن عوالم النفوس ، ومن عوالم العقول ، ومن العوالم الحمراء أو السوداء ، ويعرّفوا به بدورهم لمواصلة أنفسهم .

« إنى لاأرى فى نفسى إلاّماأصرح به ، ولاأحب أن يكون لى إلاّ ما أرى . إنى لاأطمع من الله فى مزيد مما أنافيه إلاّ فى مزيد من رحمته بالناس ، وكرمه على الناس ، وتعريفه للناس وتعليمه للناس ، وتحقيقه للناس ؛ فنى هذا نعمتى ، وفى هذا رضاى ، وفى هذا عطائى وإرضائى ، وفيه علمى عنه وتعارفى إليه .

« هذا ماأقول ، وهذا مافيه وبه أقوم ، وهذا ماأعتقد . وهذا ماأحب لنفسى ولإخوانى أن يعرفوه وأن يعتقدوه وأن يحبوه وأن يكونوه فى حاضرهم ، وفى قابلهم ، وأن يتعظوا بمايظهر الله لهم من آياته فى أنفسهم وفى الآفاق . وفى ماضيهم ،وفى ماضى الناس ، وفى حاضرهم ، وفى حاضر الناس ، وفى قابلهم ، وفى قابل الناس .

« لا إله إلاّ الله . . هذا يقينى وكتابى وقيامى وعقيدتى ، وإن صح أن تكون لى رسالة – فرسالتى ، وإن صح أن تكون لى دعوة – فدعوتى . . وإن صح أن يكون لى أمر – فأمرى . . وإن صح أن يكون لى مجاهدة – فمجاهدتى . . وإن صح أن تكون لى استقامة – فطريقى واستقامتى . .

« لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له . الكل معه عباد . وما العباد إلاّ وجوهه ، وما العباد إلاّ أسماؤه وصفاته وذكره المحدث من ذكره القديم كما تحدثت وأتحدث دائما . .

« إن الله لانهائى بلا بداية ، لانهائى بلانهاية ، لاإله إلاّ الله . الله لانهائى فى قيامه . . لاإله إلاّ الله . لانهائى فى صفاته ، لانهائى فى ذاته ، وفى خلقه ، لانهائى فى حقه . . لانهائى فى كرمه وجوده . . هذه عقيدتنا فى (لا إله إلاّ الله) ياأخى أراها فى نفسى ، وأراها فيمن نتحاب معاً ، سواء أحببته كما أحببتك ، أو أحبنى كما أحببتنى ؛ فإننى إن أحببتك كنتك ، وإن أحببتنى كنتنى . . ومن أحب شيئا كانه فى قانون الفطرة .

« إن الله فى المحبة يوجد ما وجدت المحبة وما وجد الحب ومن يحب . » هذا ديننا ياأخى ، وهذا يقيننا ياأخى ، عليه نحيا ، وعليه نموت ، وعليه نبعث ، وعليه نبقى ، وبه نرقى ، وبه نتجدد (لا إله إلا الله) . .

* * *

وفى جلسة أخرى جاءت على لسان الوسيط كلمة قيمة كانت مقدمة للجزء الأول من مجموعات « ألواح مابين قبر ومنبر » التى تصدر عن « الجمعية الإسلامية الروحية » بالقاهرة ضمن سلسلة نشر الثقافة الروحية ننقلها فيما يلى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذى جعلنى قادراً على أن أُذكِّر المسلمين فى كتاباتى وتآليفى أن الإسلام هو دين العقل ، وليس بدين الخوارق والمبالغات والأوهام .

والإسلام دين يقبل بالعقل ، ولايقبل أبداً بغير ذلك .

العلم هو كل شىء فى الحياة ، مادام هذا العلم المقصود به وجه الله ومعرفة الله .

فيأيها القارئ الكريم ، اقرأ هذه الكلمات ، ولاتجعل من نفسك قاضيا على مافيها من علم ، ولا تجعل من نفسك عالما ، فيمتنع عنك العلم ، ويحتجب عنك النور !

أيها المسلم الكريم ، أهدى إليك هذه الكلمات البالغات التى خطها بفيض أنوار رسول الله ﷺ :

مثل للتقوى ، ونبراس للإيمان ، وإمام لليقين.

اقرأ ففيها حلاوة وجمال ، يدرك لكل ذى قلب سليم
الخير من ورائها ، والحنان والحب يستمد منها
والله يهدى إليه من يشاء .

الروح الكاتب لهذه المقالة
أخوك
طنطاوى جوهرى

* * *

وهكذا نرى مما سلف أن للشيخ طنطاوى -كما قلنا من قبل - رسالة روحية جليلة هو آخذ فى توصيلها من عالم الروح عن طريق وسطاء أعدّوا أنفسهم لاستقبالها وبالأخص نجله الأستاذ المهندس السيد جمال الدين الذى سمعت منه عن لسان أبيه كلمة تعد من جوامع الكلم يحسن أن نختم بها هذا الفصل من الكتاب وهى : «كلنا نحب الحياة ، ولكن ما الحياة ؟ الحياة هى أن تعرف من الله عن الله ماتدرك به الله فى نفسك ! » .